

الفصل في الملل والأهواء والنحل

العالمين كثيرا وأثبتنا في صدر كتابنا هذا وهنالك أنه ليس في العالم خلا البتة وأنه كلة كرة مصممة لا تخلل فيها وأنه ليس وراءها خلاء لا ملاء ولا شيء البتة وأن المدة ليست للأمد أحدث الفلك بما فيه من الأجسام الساكنة والمتحركة وأعراضها وبيننا في كتاب التقريب لحدود الكلام أن الآلة المسماة الزرافة وسارقة الماء والآلة التي تدخل في إحليل من به أسر البول براهين ضرورية بتحقيق أن لا خلاء في العالم أصلا وأن الخلاء عند القائلين به إنما هو مكان لا تمكن فيه وهذا محال بما ذكرنا لأنه لو خرج الماء من الثقب الذي في أسفل سارقة الماء وقد شد أعلاها لبقى خاليا بلا متمكن فيه فإذا لم يمكن ذلك أصلا ولا كان فيه بنية العالم وجوده وقف الماء باقيا لا ينهرق حتى إذا فتح أعلاها ووجد الهواء مدخلا خرج الماء وانهرق لوقته وخلفه الهواء وكذلك الزرافة والآلة متخذة لمن به أسر البول فإنه إذا حصلت تلك في داخل الإحليل وأول المثانة ثم جذب الزر المغلق ليقتها إلى الخارج أتبعه البول ضرورة وخرج إذ لم يخرج لبقى ثقب الآلة خاليا لا شيء فيه وهذا باطل ممتنع وقد بينا في صدر كتابنا كما اعترض به الملحدون المخالفون لنا في هذا المكان فأغنى عن إعادته فإن قال قائل فالماء الذي اخترعه D معجزة من بين أصابع رسول A التمر الذي اخترع له والثريد الذي في اخترع له من أين اخترعه وهي أجسام محدثة والعالم عندكم ملاء لا خلاء فيه ولا تخلخل ولا يكون الجسمان في مكان واحد قلنا وبا \square تعالى التوفيق لا يخلو هذا من أحد وجهين لا ثالث لهما أما أن يكون D أعدم من الهواء مقدار ما اخترع فيه من التمر والماء والثريد وأما أن يكون D أحال أجزاء من الهوى ماء وتمرا وثريدا فأ \square أعلم أي دينك كان وا \square على كل شيء قدير فسقط قولهم في الخلا والمدة والحمد \square رب العالمين .

قال أبو محمد وأما الصورة فيكفيه بلا شك وهي تخليط الجواهر وتشكلها إلا أنها قسمان أحدهما ملازم كالصورة الكلية لا تفارق الجواهر البتة ولا توجد دونهما ولا تتوهم الجواهر عارية عنها والآخر تتعاقب أنواعه وأشخاصه على الجواهر كانتقال الشيء عن تثليث إلى تربيع ونحو ذلك فصح أنها عرض بلا شك وبا \square تعالى التوفيق وأما العقل فلا خلاف بين أحد له عقل سليم في أنه عرض محمول في النفس وكيفية برهان ذلك أنه يقبل الأشد والأضعف فنقول عقل أقوى من عقل وأضعف من عقل وله ضد وهو الحمق ولا خلاف في الجواهر أنها لا ضد لها وإنما التضاد في بعض الكيفيات فقط وقد اعترض في هذا بعض من يدعي له علم الفلسفة فقال ليس في العقل ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه فقلت الذي ذكر لي هذا البحث أن هذه سفسطة وجهل لو جاز له هذا التخليط لجاز لغيره أن يقول ليس للعلم ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه ولا لشيء من

الكيفيات ضد ولكن لوجودها ضد وهو عدمها فيبطل التضاد من جميع الكيفيات وهذا كلام يعلم فسادَه بضرورة العقل ولا فرق بين وجود الضد للعقل وبين وجوده للعلم ولسائر الكيفيات وهي باب واحد كله وإنما هي صفات متعاقبة كلها موجودة فالعقل موجود ثم يعقبه الحمق وهو موجود كما أن العلم موجود ويعقبه الجهل وكما أن النجدة موجودة ويعقبها الجبن وهو موجود وهذا أمر لا يخفى على من له أقل تمييز وكذلك الجواهر لا تقبل الأشد والأضعف في ذواتها وهذا أيضا قول كل من له أدنى فهم من الأوائل والعقل عند جميعهم هو تمييز الفضائل من الرذائل واستعمال الفضائل واجتناب الرذائل والتزام ما يحسن به المغبة في دار البقاء وعالم الجزاء وحسن السياسة فيما يلزم المرء في دار الدنيا وبهذا أيضا جاءت الرسل عليهم السلام قال \square D أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقال تعالى كذلك يبين \square لكم الآيات لعلكم تعقلون وقال تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا وقال تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وقال تعالى